دور الجنس والوظيفة الاجتماعية

التماثل والمصير البيولوجى :

لابد أن يتماثل الصبيان بآبائهم والبنات بأمهاتهن ؛ لتحقيق مصيرهم البيولوجى . والتماثل عملية حاسمة ، وبها يصبح الصبيان رجالاً والبنات نساءً . ويتيسر التماثل ويسهل عندما تبنى العلاقات مع الأطفال على الاحترام والحب . ويكسب ود الأطفال وحبهم ، فنحن نكسب أيضاً رغبتهم فى محاكاة أدوارنا الجنسية الخاصة . ولكن الآباء أنفسهم ليسوا على بينة تامة بما تستلزمه أدوارهم .

نماذج الأمومة والأبوة :

فى كثير من المجتمعات نجد أن وظيفة الأم محددة بوضوح أكثر عن وظيفة الأب . فالأمومة معناها الحضانة بكل معانيها من رضاعة ، وعناية بأمر الطفل ، وحبه ، واللّعب معه ، والابتسام له ، ومناجاته ، وتدليله . والحاجة إلى رعاية الأمومة مطلب بيولوجى . ونقص الأمومة يعد خطراً على صحة الطفل العقلية ، ويهدد حياته نفسها . وأما الأبوة ، فعلى نقيض ذلك ، تستلزم طبيعة أقل وثقافة أكثر . ولو تحدثنا من وجهة النظر البيولوجية ، فإسهام الأب يبدأ وينتهى قبل مولد الطفل . وجميع نشاطات الأبوة الأخرى يحددها المجتمع . وهكذا ، نجد فى بعض المجتمعات ، أن الآباء يهتمون فقط بالأبناء . فى حين أنهم قد لايعترفون بالبنات . وفى مجتمعات أخرى يحتفظ الأب بدور المدرّس المتسامح ، فى حين أن تربية الطفل متروكة كلها للأم . وفى مجتمعات أخرى ، يحكم الأب أطفاله مثل الملك المطلق .

وفى المجتمع الأمريكى ، الرئيس الشرفى للأسرة هو الأب ، أمّا دوره ووضعه فهو مبهم غالباً ، وغير محدد تحديداً واضحاً . وتؤكد بعض الدراسات أن الأب الأمريكى

هو العائل الغائب ؛ ففى الصباح يندفع فى عجلة من أمره ، ويختفى طول اليوم ، ويعود ليلاً مرهقاً متعباً . وفى نهايات الأسبوع ، إذا لم يكن يلعب الجولف ، فهو يشاهد التليفزيون أو يجز خضرة حديقة البيت . والأطفال ليس لديهم فرصة كبيرة فى مشاركة آبائهم فى نشاطات ومحادثات ذات معنى أو هدف .

ونتيجة لذلك ، فالأم هى الشخصية المهيمنة فى الأسرة ، وهى الوحيدة تقريباً التى تفرض النظام أو الانضباط . ويعرض مثل هذا الوضع دور الأم القديم للخطر . ففى الأزمان السالفة ، كانت الأم تمثل الحب والحنان ، فى حين أن الأب يجسد الانضباط والمبادىء الأخلاقية وقواعد السلوك الخاصة . والأطفال ـ خصوصاً الأولاد ـ يستمدون التزامهم وضمائرهم منه بشكل رئيسى . لقد كانت الصورة التى يضفى عليها الأب صفته الذاتية ، وتصبح كمبدأ هادياً ، فتحذرهم من المغريات ، وتؤنبهم على التعديات وهكذا ، فهذا الأب يخدم كحلقة وصل بين الأسرة والعالم الخارجى .

وفى الأسرة الحديثة ، لم يعد دور كل من الأم والأب متميزاً : فكثير من النساء يعملن خارج البيت فى «عالم الرجال» ، وكثير من الرجال يجدون أنفسهم متورّطين فى نشاطات الأمومة ، مثل الرضاعة وتغيير ملابس الأطفال واستحمامه .

وبالرغم من أن بعض الرجال يرحبون بهذه الفرص الجديدة من أجل مزيد من الترابط مع أطفالهم ، فهناك الخطر الذى قد ينتهى إليه الطفل الرضيع بحصوله على أُمَّين ، بدلاً من أم وأب .

دور الأب :

يحتاج الطفل إلى أب يقبل دوره . إن الرجولة لايمكن اكتسابها من دورة دراسية . بل يمكن تعلّمها فى دورة الحياة اليومية من أب يخدم كنموذج يحتذى به . ويقول «فرويد» : «ليس هناك حاجة فى الطفولة أقوى من الحاجة لحماية الأب » . والطفل يحتاج من طفولته المبكرة ، أن يعى أن له أباً يمكنه أن يحميه من الخطر .

وهناك ثلاثة أخطار ـ بصفة خاصة ـ تتطلب تواجد إرشاد الأب . يحتاج الطفل إلى

الحماية ضد تهديدات العالم الخارجى ، وضد المخاوف من العالم الداخلى ، وضد حماية الأم الزائدة ، إن العالم الخارجى يُعَدُّ مكاناً خطراً على الطفل الصغير . وببساطة لكى يبقى على قيد الحياة ، يحتاج إلى حماية ضد مخاطر الأدوات والأجهزة الحديثة فى المنزل ، وضد المشاكل التى قد تنشأ خارج المنزل . فعليه أن يتعلم ، بين أمور أخرى كثيرة ، عبور الشارع بدون أن تصدمه سيارة ، واستخدام الأجهزة الكهربائية بدون أن يصعق كهربائياً .

ويحتاج الطفل أيضاً إلى مساعدة الأب فى التعامل مع رغباته الغاضبة وخيالاته المخيفة ، وكل صبى صغير يريد أمه له وحده . ولايتسامح مع أى منافس ، يجعله يتخلص من أبيه وإخوته وأخواته فى الخيالات والأحلام . وربما تتحول الخيالات إلى عالم عنيف متقد والأحلام إلى كوابيس . وطالما أن الطفل لايقدر بعد على فصل الرغبات عن الأفعال ، فإنه يصبح خائفاً بشكل يائس . وليس أمامه طريق يعرف منه أن أفكاره لن تصبح واقعاً . وهنا يكون دور الأب ذا شقّين . معاينة إحباط الطفل ، وغضبه ، وخوفه ، بكل عطف وتودد ، وفى نفس الوقت ، ينقل ، بقوة صامتة ، رسالة الطمأنينة : «لا تقلق يا بُنى ، فلن أدعك تنفّذ رغباتك المخيفة » .

وبعض الآباء لايدركون الحاجة إلى حماية الطفل من خيالاته المدمرة . وفى بعض البيوت ، يمكن غزو حجرة نوم الوالدين من قِبَلِ الأطفال فى أى وقت من النهار أو الليل . وفى بيوت أخرى ، يسىء الأطفال للأم فى حضور أب متساهل أكثر من اللازم . إن مثل هذه الأمور ، من الأفضل ، عدم التسامح فيها . فهى لا تجلب إلا القلق للطفل والمعاناة للوالدين .

وكما أن الأب يجب أن يحمى الأم من طفل مسىء ، فهو يجب عليه أيضاً أن يحمى الطفل من الأم المفرطة فى حمايتها وعنايتها . ولكن بعض الأمهات يستمتعن بتدليل أطفالهن حتى بعد أن يفوتوا هذا السن . إن من مهام الأب أن يزّود الطفل بحب يتضمن أكثر من مجرد الحماية ، يتضمن التحرير والعتق أيضاً . وبينما حب الأم يُشعر الطفل بأنه محبوب ، فثقة الأب وجرأته تقول للطفل أنه كفء مقتدر . وبسبب تربيتهم

الأقل كَبْتاً . فمن الأسهل على الآباء أكثر من الأمهات أن يسمحوا للأطفال بأن يقوموا بتجربة الاستقلال . وتشجع رغبة الأب فى مشاهدة مغامرات ومجازفات الطفل الجديدة والموافقة عليها على نمو الطفل بدون شعور بالذنب .

ويستطيع أن ينقل الثقة والجرأة للطفل فى أى وقت وفى أماكن كثيرة . وإبرازها لايتطلب بالضرورة مهارات خاصة فى الرياضة أو فى ممارسة الهوايات . إنها تحتاج فقط إلى القدرة على الإحساس بحاجات الأطفال والرغبة فى العمل كمرشد حازم ودليل مشجع ودود .

معايير للصبيان والبنات .

إن كلاً من الصبيان والبنات يحتاجون إلى مساعدة فى تقدمهم نحو مصائرهم البيولوجية المختلفة ، ويستطيع الآباء مساعدتهم بعدم طلب نفس معيار السلوك من كلا الجنسين فيسمحون للصبيان بمزيد من الصخب بسبب طاقتهم الأكبر ، ولأن المجتمع يتطلب منهم أن يكونوا أكثر صلابة .

ويجب على الأمهات والمدرسات أن يُحجمن عن تشجيع السلوك الأنثوى فى الصبيان . ويجب على الصبيان ألا يحملوا أسماء أنثوية ، أو يرتدوا ملابس ملتصقة ضيقة ، أو يطولوا ضفائر شعرهم كالبنات . ، ويجب ألا نتوقع منهم أن يكونوا سلسين لينى العريكة مثل البنات ، أو يكون لهم سلوك شبيه بسلوك البنات . والقول الفصل هو «الصبيان سيكونون صبياناً» ، وهذا يتطلب التفاوت المسموح لتفريغ الطاقة التى فى النشاطات المذكّرة العنيفة .

ويجب على الآباء ألا يتخذوا عناية خاصة لتأنيث الابن لخيبة أملهم فى عدم الحصول على ابنة . وقد يبدو الصبى الحلو ذو الشعر المقصوص جميل المحيا للأقارب ، ولكنه بالتأكيد سيكون جباناً مخنثاً مع أقرانه . . . إن كان له أى أقران . وتعتبر هذه وصمة عار تَنخُر فى شخصيته . وتتلف صورة الطفل عن نفسه وشخصيته مع زملائه .

والبنات ، أيضاً ، يجب ألا يقمن بدور الجنس الآخر بسبب اشتياق الوالدين الذى

لم يتحقق لطفل من الجنس الآخر . وبالرغم من أن البنت تخسر هيبة أقل فى كونها صخّابة تحب اللعب كالصبيان من الصبى المخنث ، فإنه من المهم مساعدتها فى الحصول على متعة الأنوثة وفخارها .

وتحتاج البنات أن نقدرهن ونستمتع بهن لكونهن بنات. وأفضل من ينقل هذه المشاعر هى الأم التى تحب كونها سيدة . ومع ذلك ، يجب على كلا الأبوين أن يكونا واعيين تماماً للحاجة فى غرس ذكورة أو أنوثة أطفالهما . فمن الملائم للأب أن يطرى ابنته على منظرها ، وردائها ، وأنوثتها ، وليس من الملائم له أن يشغلها فى الملاكمة الوهمية ، واللعب الخشن ، خشية أن تستنتج أن أباها سيحبها أكثر لو كانت صبياً .

وتوفر حياة الأسرة فرصة متسعة لتعليم الأطفال الحقيقة الأساسية فى أن الرجال والسيدات فى دوريهما المختلفين يحتاج بعضهم إلى بعض ، ويحتاجون إلى عناية ورعاية بعضهم البعض .

التربية الرجالية والتربية النسوية :

تبدأ التربية بشقيها الذكرى والأنثوى مبكراً فى الحياة . ومع ذلك ، فيجب ألا نجبر الأطفال على القيام بدور الجنس المناسب فى وقت مبكراً جداً . فخلال فترة ماقبل المدرسة ، يجب على كل من الصبيان والبنات أن يلعبوا بالعرايس والدمى ، ويشغلوا أنفسهم بنشاطات «الأمومة» . وهذا أمر طبيعى ، بالرغم من أن بعض الآباء والأمهات يبدون فزعين عند رؤية صبى عمره خمس سنوات يطعم دمية .

لذا يجب السماح لصبيان وبنات فترة ماقبل المدرسة باستخدام نفس الدمى والألعاب إذا كانت هذه رغبتهم . ففى هذه السن لا مدعاة لوضع حد صارم بين لعب الصبيان والبنات فيجب على الآباء ألا يجعلوا من أولادهم الصبيان الذين فى عمر أربع أو خمس سنوات أبطالاً فى الملاكمة ، وهم قد يفضّلون اللعب بدمية ، فلابد لأطفال فترة ماقبل المدرسة من كلا الجنسين أن يستطيعوا اللعب بكل من الألعاب الأنثوية والذكرية بدون خوف من الاعتراض .

وخلال السنوات الدراسية يبدأ التأكيد على الاختلافات الجنسية ، فتتوقع أن تنمو فى الصبيان والبنات اهتمامات وتطلعات مختلفة : فيحتاج الصبيان إلى تحقيق تميز فى النشاطات المذكّرة والبنات فى النشاطات الأنثوية . ويتم تعزيز التماثل الجنسى عن طريق توفير الاهتمامات والنشاطات المختلفة ثقافياً كذكرية وأنثوية .

وتعتبر سنوات المدرسة فترة طيبة لتعميق علاقة الابن بأبيه والبنت بأمها . وهذا هو الوقت المناسب لتعريف البنات بفنون الطبخ والفنون المنزلية الأخرى . فتستطيع الفتيات الطبخ وإعداد بعض الوجبات البسيطة مع الخياطة وأشغال الإبرة وأعمال المنزل على أن يكون التأكيد على المتعة والسعادة فى التدبير المنزلى . وهذه هى الساعة الذهبية للأم فى أن تنقل لابنتها الرضا بكونها امرأة ، وزوجة ، وأمًّا .

وعلى الأب ، أيضاً ، أن يرحب باستعداد ابنه للارتباط به ، ورغبته فى المشى والحديث ، وطريقة ارتداء الملابس مثله . ويجب عدم السخرية من هذه المحاكاة . . . بل يجب تشجيعها . وقد يؤدى تقليد اللغة والسلوك إلى محاكاة الاهتمامات والقيم . وفى اتصالها الحميم يضرب الأب لابنه الأمثال فى معنى أن يكون رجلاً فى الأسرة وكذلك فى المجتمع . ويستمد الأطفال كثيراً من الفخر بمراقبتهم لمهارات الأب ، وجهوده ، وعطاءاته فى مواقفه خارج البيت . وقضاء بعض الوقت مع الأب فى مكان عمله وبالقرب من نشاطاته العامة فى الحياة تجعل الأبناء يدركون عالم الرجل فى عمله وفى مجتمعه .

نماذج أسرية مختلفة :

إن أفضل نماذج التماثل هى فى الآباء الذين يحترمون أدوارهم ودور كل جنس منهما . وبطرق عديدة ينقل سلوكهم اليومى لأطفالهم أن الذكورة والأنوثة مقدّرة .

وفى بعض الأسر ، يتلقى الأطفال الرسالة فى أن مصير الرجل هو فى صنع علامته البارزة فى العالم وفى ترك بصماته فى عصره وإلى الأبد . ويغذى مثل هذا الجو أحلام عظيمة للاكتشاف ، والاختراع ، والإنجاز فى الفنون والعلوم . وينتظر أيضاً من النساء

أن يساهمن فى المجتمع بالإضافة إلى رعايتهن للأسرة . ويعد مثل هذا الرأى ناجحاً إذا قبل الأب والأم دوريهما المختلفين بالرضا ، وأظهرا تقديراً لوضع كل منهما ، وشاركا فى إنجازات كل منهما .

وفى بعض البيوت ، سيحصل الأطفال على رسالة مختلفة . حيث تكون المرأة ضجرة من تربية الأطفال ، ورعاية المنزل ، أو حيث لايقدّر الزوج التعقيد والبراعة المنوطة بكون المرأة زوجة وأمًا ، فسينظر الأطفال نظرة متدنية لأدوار النساء التقليدية . وربما تصبح البنات فى مثل هذه البيوت لديهن روح المنافسة ، ويشعرن بالإجبار على أن يتفوقن على الصبيان ، وفيما بعد على الرجال فى ألعابهم .

وهناك رسالة مختلفة تأتى من البيت الذى فيه أدوار الجنس معكوسة . حيث المرأة هى الرئيس فى القول والفعل . وكما قال أحد الأزواج :

ـ أنا أقرر الأمور الكبيرة ، إذا كانت الصين ستقبل فى الأمم المتحدة ، أو ما شابه ذلك . وتقرر زوجتى الأمور الصغيرة : السيارة التى نشتريها ، المنزل الذى نعيش فيه ، الكلية التى يلتحق بها الأولاد .

فالزوج فى مثل هذا البيت يبدو أنه يتجنب أن يكون رأس المنزل . إنه يشير بصراحة إلى زوجته على أنها هى الرئيس وعندما يسأله أطفاله عن أى قرار ، تكون إجابته عادة :

ـ اسأل أمك .

فى مثل هذه البيوت ، ينشأ الأطفال وهم يكنون احتراماً وإعجاباً ضئيلين للرجال . ويرى كل من الصبيان والبنات الأب من خلال عينى الأم : كاريكاتيراً لرجل .

ويتأثر كل من الأبناء والبنات بنموذج الأب الضعيف ، والأم المسيطرة . وربما يحاول الصبيان فى التعويض وإثبات رجولتهم بتناول المسكرات أو الاختلاط الجنسى غير الشرعى ، أو الجنوح ، أو القسوة على النساء . وغالباً ما تنسخ البنات فى اختيار أزواجهن نماذج مطابقة لبيتهن الأصلى ، وبذلك تستمر الأدوار المعكوسة لجيل آخر .

دور الجنس والوظيفة الاجتماعية :

إن أهمية تربية الأبناء والبنات الذين هم أفراد نحب ألا تغمط الحاجة فى تنشئة الأبناء الذين هم ذكور والبنات اللاتى هن إناث .

وفى رغبتنا بالمساواة بين الجنسين ، يجب الا ننسى أن بعض الوظائف البيولوجية ثابتة لايمكن تغييرها ، ولها عواقب سيكولوجية واجتماعية . ولما كانت الأدوار الاجتماعية لاتعتمد فى محاكاتها بشكل ضيق على أساس وظيفة الجنس ، فهى لا يمكن فصلها تماماً عنها . وحيث إن مصير الغالبية العظمى من النساء أنهن سيكن زوجات وأمهات ، فلابد أن يكون تعليمهن العام وتوقعاتهن الخاصة تساعدهن على الحصول على الرضا الكامل عن أدوارهن . وبالطبع فالنساء كأفراد قد يقررن اختيار أدوار مختلفة : فاربما يردن أن يكن مهندسات ميكانيكا وبحريات ، أو عالمات فضاء ، أو يصبحن سيدات أعمال أو عضوات فى الكونجرس . ويجب وجود مرونة كافية للشخص من كل من الجنسين حتى يحقق ذاته فى أى مهنة أو دور سياسى ، وحتى تكون الحياة أسهل عندما لاينشغل معظم الرجال والنساء فى منافسة وتناحر متبادلين .